الدرس الخامس عشر/ تجريد التوحيد المفيد للمقريزي

قراءة الطالب: الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد: قال المصنف-رحمه الله تعالى-:

"واعلم أن العبد لا يكون متحققا بعبادة الله تعالى إلا بأصلين :أحدهما: متابعة الرسول ﷺ، والثاني: إخلاصُ العبودية، والناس في هذين الأصلين على أربعة أقسام: أهل الإخلاص والمتابعة، فأعمالهم كلها لله وأقوالهم، منعهم وعطاؤهم، وحبهم وبغضهم، كل ذلك لله تعالى، لا يريدون من العباد جزاء ولا شكورا، عدُّوا الناس كأصحاب القبور، لا يملكون ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورا، فإنه لا يعامل أحدا من الخلق إلا لجهله بالله وجهله بالخلق، والإخلاص هو: العمل الذى لا يتقبل الله من عاملٍ عملاً صوابًا عاريًا منه، وهو الذى ألزم عباده به إلى الموت، قال الله تعالى: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أحسن عَمَلًا}، وقال: { إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرض زِينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أحسن عَمَلًا}، وأحسن العمل: أخلصه وأصوبه، فالخالص: أن يكون لله، والصواب :أن يكون على وفق سنة رسول الله ﷺ، وهذا هو العمل الصالح المذكور في قوله تعالى:{ فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً} ، وهو العمل الحسن في قوله تعالى:{ وَمَنْ أحسن دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ}، وهو الذى أمر به النبى ﷺ في قوله: "كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد"، وكل عمل بلا متابعة فإنه لا يزيد عامله إلا بعدًا من الله، فإن الله تعالى إنما يُعبد بأمره لا بالأهواء والآراء.

الضرب الثاني: من لا إخلاص له ولا متابعة له، وهؤلاء شرار الخلق وهم المتزينون بأعمال الخير يراؤون بها الناس، وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف عن الصراط المستقيم من المنتسبين إلى الفقه والعلم والفقر والعبادة، فإنهم يرتكبون البدع والضلال والرياء والسمعة، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، وفي أضراب هؤلاء نزل قوله تعالى :{لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ}.

الضرب الثالث: من هو مخلص في أعماله، لكنها على غير متابعة الأمر، كجهال العباد والمنتسبين إلى الزهد والفقر وكل من عبد الله على غير مراده، والشأن ليس في عبادة الله فقط، بل في عبادة الله كما أراد، ومنهم من يمكث فى خَلوته تاركا للجمعة ويرى ذلك قربةً، ويرى مواصلة صوم النهار بالليل قربة، وأن صيام يوم الفطر قربة وأمثال ذلك.

الضرب الرابع: من أعماله على متابعة الأمر لكنها لغير الله تعالى، كطاعات المرائين، وكالرجل يقاتل رياء وسمعة وحمية وشجاعة وللمغنم، ويحج ليقال، ويقرأ ليقال، ويَعلم ويُعلّم ليقال، فهذه أعمال صالحة لكنها غير مقبولة، قال تعالى: {وَما أمروا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ} فلم يؤمر الناس إلا بالعبادة على المتابعة والإخلاص فيها، والقائم بهما هم أهل {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}:

الشيخ –حفظه الله–: إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله أما بعد:

فقد ختم المصنف (أحمد بن علي المقريزي) المتوفى سنة (845 هـ) كتابه (التجريد) بمسائل مهمة جدا حول توحيد العبادة، توحيد الألوهية، وقلنا في الدرس الأول بكتابه أنه كاد أن يكون كتابه درة فريدة في هذا الموضوع، فلم يسبقه أحد في التصنيف في هذا الباب، ووصل بنا المقام في الدروس الماضية إلى أقسام الناس حول العبادة والاستعانة، وقّسمهم أيضا إلى أربعة أقسام خيرهم: أهل عبادة واستعانة، شرهم: من لا عبادة له ولا استعانة، والمرحلة التي فيها نقص فيها عبادة دون استعانة، أو استعانة دون عبادة، وهذا مبحث عام فخصّصه وفصّله في المبحث الذي سمعناه، أحوال الناس مع العبادة أيضا هم أربعة أقسام، الذي أوجبه الله تعالى على عباده أن يعبدوه مخلصين له الدين بما شرع في كتابه وفي صحيح سنة نبيه ﷺ، قال الله تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}، ويتقبل الله من المتقين إن عملوا بإخلاص لله وعلى سنة رسول الله ﷺ، الإخلاص والتزام السنة تختلف من حال رجل إلى آخر على حسب مجاهدته وتوفيق الله له، وعلى حسب علمه، لا تقوى إلا بأن تعلم ماذا شرع الله، وأنت لا تعلم ماذا شرع، فلا يمكن أن تكون تقيا، وإذا كان هنالك مقدار واجب، وفرض لازم من العلم الشرعي، يجب على كل عابد أن يعلمه حتى يعبد الله ﷻ على هدى، فالناس أربعة أصناف بالنسبة إلى الإخلاص لله تعالى في عباداتهم، وبالنسبة إلى متابعة رسول الله ﷺ، وجعل المصنف هذا المبحث، وهو مهم وخطير، توطئة وتمهيدًا لمسألة اضطرب فيها الناس واختلفوا، وبقي أثر لهذا الخلاف إلى هذه الأيام، وهو تفضيل العبادات، أي العبادات أفضل؟ اختلف الناس فيها، وجعل المصنف هذه المسألة تمهيدًا لتلك المسألة، فكل مسألة ما لم تكشف عن أصولها وجذورها وتزيل الأتربة المغطاة عنها فستبقى في عماء، ولا تستطيع أن تصل إلى الحقيقة التي يحبها الله تعالى، فهذه كشف عن الأتربة التي

علقت في عقول وقلوب كثير من الخلق في بيان أفضل العبادات التي يحبها الله ﷻ، أشرف الأقسام وأحسنهم وهم المفلحون عند الله ﷻ، والبقية خاسرون، والخسارة تتفاوت من قسم إلى قسم، هم من جمعوا بين الإخلاص لله ﷻ في عبادتهم، وبين اتباع رسول الله ﷺ في أحكامهم، ومن حكّم التوحيد والسنة على أقواله وأعماله نطق بالحكمة، ويسّر الله ﷻ له كل خير، تعلمنا في منظومة الشيخ السعدي أن الترك عمل، قال تعالى: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا}، اتخذوه مهجورا، فالترك عمل، أحاديث كثيرة ذكرناها في هذه المسألة، والحب والبغض كله لله ﷻ، المخلصين لله يبتغون وجه الله لا يريدون من الخلق جزاء ولا شكورا، فعدوا الناس في أفعالهم كأنهم أموات فلم يلتفتوا إليهم البتة، العامل الصادق بإخلاصه لا يلتفت للناس، ليس همه أن يرضي أحدا، أو أن يسخط أحدا، همه أن يرضى الله ﷻ عنه، وإذا قال فإنه لا يعادي أحدا من الخلق إلا لجهله بالله، وجهله بالخلق، كيف لصادق أن ينزل الناقص من كل وجه بالله ﷻ بالكاذب من كل وجه، كيف لهذا القلب أن يلتفت إلى الخلق يريد رضاه ، وأن يجعله هما له، ولله ﷻ سنن أخبرنا عنها النبي ﷺ، النبي ﷺ يقول في سنن الترمذي: "من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، ومن أسخط الناس برضى الله، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس"، لا تلتفت لأحد، اخلص واصدق ربك ﷻ في موقفك، من أحسن فقل له أحسنت، ومن أساء فقل له أسأت، فإن كنت لا تستطيع فاسكت ولا تجعل الحق باطلا، ولا تجعل الباطل حقا، لو كنت لا تستطيع اسكت، لا تحسّن لأهل الباطل باطلهم، ولا تحقّر لأهل الحق حقهم، وأنزل الناس منازلهم كما أمر الله ﷻ ، وهذا يؤثر عن جمع من السلف الصالح: "لا ترفع أحدًا وأنت تبغي رضاه فوق منزلته، فإن فعلت فإنه سينزلك بمقدار ما رفعته"، كما أُثر عن الشافعي -رحمه الله- ، يقول عمر: "من نمّ لك نمّ عليك" من تزلف لك بالمدح فلا بد أن ينم عليك وأن ينزلك عن منزلتك التي أنت عليها، كن مع الله ﷻ ولا تبالي، أحكم بدايتك تسلم نهايتك، ولا تلتفت لأحد من المخلوقين، ودل عليه قول الله ﷻ في كتابه، قال المصنف:

"والإخلاص هو العمل الذى لا يقبل الله من عامل عملاً صوابًا عاريًا منه، وهو الذى ألزم عباده به إلى الموت"،كما قال الله ﷻ: { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}، حتى يأتيك اليقين وأنت مخلص متبع لسنة النبي ﷺ، قال الله ﷻ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}، هل الخاتمة بيدك أم بيد الله؟ بيد الله، فلماذا يقول الله ﷻ: {وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}، أحكم بدايتك ولا تموت إلا مسلماً، أخلص لله ﷻ فحينئذ الله ﷻ يكرمك، ولا تموت إلا مسلما، {وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}أي بالإخلاص، "وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يظهر للناس"، يعمل من عمل أهل الجنة فيما يظهر للناس، لكن المآل يسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار حتى يدخلها نسأل الله ﷻ العفو، الله لا يقاوم فإن لم يكن صادقاً مع الله ولم يكن مخلصا مع الله فمآله وحاله خطير، فهو على شفا حفرة من النار والعياذ بالله تعالى ، قال: "وهو الذي ألزم عباده به إلى الموت" من زعم أن هناك حدا من العبادة يصل إليه العبد دون الموت فهو ظالم، { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} لماذا خلق الله ﷻ الناس؟ خلق الله ﷻ الناس للابتلاء، والابتلاء بحسن العمل لا بكثرته، {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} قيل للفضيل بن عياض وهو عالم جليل: "ما معنى أحسن عملا؟ فقال الفضيل: أحسن العمل أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي! ما أخلصه وأصوبه؟ قال: أخلصه: أن يكون خالصا لله ﷻ، وأصوبه: أن يكون وفق سنة رسول الله ﷺ"، فالعبد إن عمل عملا لا يرفع لله ﷻ إلا إذا كان مخلصاً في عمله متبعاً سنة رسوله ﷺ، هنالك عبادات لا يصح آخرها إلا إن صح أولها، لوجود شروط معينة، مثل الصلاة، رجل دخل في الصلاة بنية فاسدة، أو دخل في الصلاة فغيّر وبدّل خلافاً لسنة رسول الله ﷺ في الصلاة، فمثلا سجد قبل أن يركع، صلى ثلاثاً بدلاً من أن يصلي ركعتين، أو خمساً بدلاً من أن يصلي أربعاً، فهذا لا صلاة له، هذا عمل مردود، هذا لا يُقبل عند الله ﷻ إن أتى بنية خالصة ولكن على خلاف سنة النبي ﷺ فالصلاة باطلة، بخلاف من خالف شيئاً بجهل ولم يعلم سنة النبي ﷺ فيها، فلابد من أحكام العلماء إن فعل الرجل فعلا

خالف فيه هدي النبي ﷺ، أو بدأ بصلاته بإخلاص، ثم سرق الشيطان من صلاته فأدخل عليه الرياء مع أنه أدّاها بإخلاص، ثم بدأ ينجذب للخلق في الصلاة فالله ﷻ : { فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ }، فيُنقص من أجره بمقدار ما أدخل الشيطان عليه من رياء، وكذلك إن خالف هدي النبي، أو تعطل الإخلاص في عمله فينقص من أجره بمقدار ما فعل، بعض الناس يحب العبادة، هكذا خلقهم الله، فيخرجون عن هدي النبي ﷺ في الصلاة، يرون مواسم فيها فضل للعبادة، وقد تكون فضل العبادة في بعض المواسم لم تثبت عن رسول الله ﷺ، يقول الإمام أبو شامة المقدسي في كتابه (الباعث على إنكار البدع والحوادث): "التقيت برجل نابلسي أقر لي بأنه وضع الصلاة الألفية في رجب، قال: "من صلى عشر ركعات في كل ركعة يقرأ سورة الإخلاص عشر مرات.." وهي كذب، وللآن في بعض التكايا والزوايا يقرؤون هذه الصلاة والذي اخترعها رجل، فالعبادة لا تقبل إلا باخلاص وفق شرع الله ﷻ، ويجب على العبد أن يعلم أن الخلق في توجه قلبه إليهم لاينفع ينبغي أن يعامله كالأموات لأنهم لا ينفعون، الذي ينفعك أن تخلص لربك ﷻ، ولذا العمل الذي هو وفق سنة رسول الله ﷺ هو المراد في مجموعة من الآيات، مذكورة في ثلاثة مواطن للقرآن الكريم في قوله تعالى: { وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}،{ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ}: هذا الإخلاص، {وَهُوَ مُحْسِنٌ}: هذا اتباع سنة النبي ﷺ، فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ}، كيف يكون، تستمسك بالعروة الوثقى؟ أن تسلم وجهك لله، أن تخلص لله، كيف تكون محسنا؟ أن تحكّم سنة رسول الله ﷺ على نفسك، يقول الله ﷻ: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}،فالآية: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ}: مخلصاً، {وَهُوَ مُحْسِنٌ}: متبع لسنة رسول الله ﷺ، في سورة النساء: {بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}، إذن الواجب أن نسلم وجوهنا لله وأن نكون مخلصين متبعين لسنة رسول

الله ﷺ ، ولذا قال النبي ﷺ :"كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد"، الأمر هو الفيصل، هو الحكم، هو الذي ينبغي أن يكون في كل فعل تحت أمر النبي ﷺ "كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد" فهو مردود على صاحبه، سواء كان اخترعه من عنده أو اتبع من اخترعه، فالأصل في العمل أن يُقبل عند الله ﷻ، لابد أن يكون خالصا لله ﷻ، ولذا قال النبي ﷺ في الحديث الآخر: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"، فالعمل الذي على خلاف سنة رسول الله ﷺ مردود، فكل عمل بلا متابعة فلا يزيد عامله إلا بعداً عن الله ﷻ، اسمع ماذا يقول الله ﷻ عن أهل الكتاب: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ}، الأركان عاملة ناصبة، والوجوه خاشعة، والمآل ؟!! {تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً} عجيب المآل!، تأمل الآية جيداً وقف عندها كثيرا! {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ}: إخلاص، والأركان فيها تعب {عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ}، والمآل: {تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً}، أحدثوا بدعا، أحدثوا أشياء لا يحبها الله، أحدثوا أشياء لا يرضاها رسول الله عيسى عليه السلام، لذا الأمر ليس سهلاً، ليس فقط همك أن تكون مخلصاً، ينبغي أن يكون معه هم آخر، أن تكون متبعاً، أن تكون مخلصا لله في عملك، وأن تكون متبعاً لنبيك ﷺ، مامعنى " لا إله إلا الله محمد رسول الله" ﷺ، ما معنى هذا الشعار؟ لا معبود بحق إلا الله، ولا متبوع بحق إلا رسول الله، فالعلماء لا نتبعهم إلا إن وافقوا رسول الله ﷺ، ومن قال أحبه وقد خالف فهو مأجور ولكن لا نقدسه، بينما هو اجتهد، فإن أصاب فله أجران كما ثبت في الصحيح، وإن أخطأ فله أجر كما ثبت عن رسول الله ﷺ، صاحب العبادة كما كان يقول الإمام الأوزاعي: "مفتون" صاحب العبادة مفتون ويفتن غيره، والحكم في القول والرد هو ما ثبت عن رسول الله ﷺ، هذا الضرب الأول من الأصناف الأربعة فيما يخص العبادة، الشرط الأول و الركن الأول هو الإخلاص والمتابعة، الناس أمام هذين الأمرين في علم الاحتمالات أربعة، القسم الأول: من نال الإخلاص والمتابعة وهذا هو الفائز، وهذا أشرف الأقسام، والخسران وأسوء هذه الأقسام: من ليس عنده لا إخلاص ولا متابعة، فهؤلاء والعياذ بالله تعالى شرهم ، كما قال الله ﷻ: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ

يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا}، هذا الذي ينطبق عليه من ليس عنده إخلاص ولا متابعة، هؤلاء جمعوا الشر بركنيه، هؤلاء شرار الخلق، وهم متزينون بأعمال الخير يراؤون به الناس، ليس عندهم إخلاص، والغالب عليهم أنهم لا يتبعون النبي ﷺ، قال: "هذا الضرب يكثر في من انحرف عن الصراط المستقيم"، الهداية هدايتان، الأولى: الهداية للصراط، و الثانية: الهداية في الصراط، كل مسلم قال: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" هُدي إلى الصراط، هناك هداية أحسن من هذه الهداية، أن تسأل ربك عنها أن تكون ذا هداية في الصراط، بعد أن تهدى إلى الصراط وكيف تكون في الصراط؟ الإخلاص والمتابعة، إن أردت أن تفحص نفسك في أنك في الصراط المستقيم حاسب نفسك، حوّل إخلاصك ومتابعتك لنبيك ﷺ، قال: "من المنتسبين إلى الفقه والعلم والفقر والعبادة، فإنهم يرتكبون البدع والضلال والرياء والسمعة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا"، عبارة ابن القيم في (المدارج) والمصنف ينقل منه قال: "هؤلاء لهم أوفر نصيب من قوله تعالى: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} الآية نزلت في يهود، وكما قلت لكم أن الشرط الذي يقع في الخلوف بما أخبر النبي ﷺ أننا سنتبع سنن من كان قبلنا وأننا سنتشبه باليهود والنصارى والعياذ بالله تعالى، ولعل فريق من الناس ينطبق عليهم {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ}، ونسأل الله العافية أن يكون المآل: {تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً}، نسأل الله أن يجيرنا وإياكم وسائر المسلمين منها، بقي قسمان من ضروب الاتباع ولكن اتباعه للنبي ﷺ معلوم، يحب الله ﷻ ويحب دينه و كل عبادة يسمعها من الناس يفعلها، سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن رجل يحضر حِلق ذكر بدعية فماذا أجاب؟ -أهل السنة أعرف الناس بالحق وأرحمهم بالخلق-، قال: "هو مأجور بنيته في فعله، وموزور في جهله في سنة نبيه ﷺ"، فبعض الناس أراد الخير ولم يحقق سنة النبي ﷺ، فنيته في إرادة الخير طاعة مأجور عليها، وجهله لما كان يفعله رسول الله ﷺ واجب عليه أن يعلم ما يفعله النبي ﷺ، هذا الضرب لا يتبع الرسول ﷺ، ولكنه يعمل البدع،

قال المصنف: "والشأن ليس في عبادة الله فقط، بل في عبادة الله كما أراد"، أسباب الهداية خمسة، وهي مذكورة في الفاتحة قبل قول: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، خمس أشياء{ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}: المحبة لله، {الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ}: الرجاء، {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}: الخوف، إن توفرت هذه الأشياء الثلاثة لابد أن تقع الهداية، لكن ليس كل عامل مهتد، هناك عباد ليسوا مهتدين، فمتى تكون الهداية؟ بقولك: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، بعدها تقول: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، العبادة على ماذا قائمة؟ على اتباع وإخلاص، ثم أن تخرج من حولك وقوتك وتلجأ لربك وتستعين به على عبادته، فإذن من لم يُحكم سنة رسول الله ﷺ قد فقد جزء من أجزاء العبادة التي هي الاتباع، الإخلاص، والشأن ليس في عبادة الله فقط، بل في عبادة الله كما رضي الله، إذن ما هو الشأن؟ الأمر الذي هو ذو بال، أن تعبد الله على وفق ما يحب الله ﷻ، { لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}، تجعل رسول الله ﷺ أسوة حسنة لك، وأن تقتدي به في الظاهر والباطن، في الباطن الإخلاص، وفي الظاهر تحكيم سنته ﷺ، إذن لا يقدر كل أحد على أن يجعل رسول الله ﷺ أسوة حسنة، تأمل معي تتمة الآية: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}، هذه شروط ثلاثة تتعلق بالآخرة وأن تذكر الله ﷻ كثيرا، هذه الأشياء الثلاثة هي التي تعينك على أن تجعل رسول الله ﷺ أسوة حسنة لك، منهم من يمكث في خلوته تاركاً الجمعة، يقول: "أفضل العبادات أن تجمع قلبك على الله تعالى، فكل ما يصدقه قلبك، فهذا مقبول وليس بخاطر"، فيتركون الجماعة، العدو يأتي ويقتلوا المسلمين، وهو يقول لك: "أنا أحسن عمل عندي أن أُجمع قلبي في خلوتي، وأحرص على ذكري، وأنا مع الله ﷻ، وأنا أطوف بالعرش وأنتم تلعبون وتعبثون من أنتم يا من تصلون الجمعة، يا من تجاهدون في سبيل الله"، ويزعم أن أفضل عمل أن يجمع قلبه على الله تعالى، هذا من الشيطان ما أنزل الله تعالى بهذا من سلطان، هذا موجود، سُئل ابن عباس عن رجل يقوم الليل ويصوم النهار ولا يشهد الجمعة ولا الجماعة، فقال: "هو في النار"، قول النبي ﷺ "من ترك الجمعة ثلاث

مرات متواليات فقد طبع الله تعالى على قلبه"، كيف تجمع قلبك على ربك وتترك الجمعة ثلاث مرات وقد طبع الله على قلبك، هذا كلام النبي ﷺ، رحم الله يحي بن يحي الليثي تلميذ الإمام مالك كان يقول: "ليس في خلاف السنة رجاء ثواب"، ثبت في الصحيح عن أبي وردة بن نيار رضي الله تعالى عنه أنه ذبح الأضحية قبل الصلاة، فسأل النبي ﷺ، نيته صادقة وخالصاً لله ولكنه في ذبحه قبل الصلاة خالف الطريقة التي كان النبي ﷺ يفعلها فقال: "إني ذبحت قبل الصلاة"، فماذا أجابه النبي ﷺ، قال: "إنما هي شاة لحم"، هذه ليست أضحية والفرق بين الذبح قبل الصلاة وبعد الصلاة أقل من نصف ساعة، من الذي حدّث هذا؟ رسول الله ﷺ بما أوحى الله إليه، ولذلك قال هشام بن حسان تابعي الشام: "إن جبريل عليه السلام ينزل بالسُّنة كما ينزل بالقرآن"، السنة وحي، فالسنة يأتي بها جبريل كما ينزل جبريل بالقرآن الكريم، والآثار في هذا كثيرة، فليس الشأن أن تعبد الله فقط، وإنما الشأن أن تعبد الله بما شرع الله، هذا الضرب الثالث وما أحوجنا نحن طلبة العلم ولا سيما المدرسين منّا والواعظين للناس أن نركز على هذا المعنى، هنالك قسم رابع، -ما أجدرنا أن نتذاكر نحن فيه، ونصحح نوايانا، وأن نصدق مع الله عز وجل، وأن لا يصيبنا الرياء بشأنه، وهو الإخلاص وأن تكون عبادتنا خالصة لوجهه-، وهو: من أعماله فيها متابعة، لكن نيته ليس فيه إخلاص، مثل: رجل يقاتل ولكن يقاتل رياء وسمعة، أول ما تسعر النار بعالم أو قارئ قرآن، يقوم بأحسن الأفعال، ولكن ليس فيها إخلاص، فيعرفه الله تعالى بنعمه فيعرفها ثم والعياذ بالله تعالى يكون أول ما تسعر النار بهم، تتعلم، تحفظ، تُعلم وتفعل أحسن الأعمال، ولكن لا يكون ذلك بإخلاص، والسلف ضربوا لنا أمثلة عظيمة، لذا قلنا أن الواجب علينا أن نتبع النبي ﷺ في الظاهر والباطن، في الظاهر في الأعمال وفي الباطن في الإخلاص لله سبحانه وتعالى، يقول نافع بن جبير: "من أتى الجنازة ليراه أهلها فلا يأتيها"، اتباع الجنازة من عمل الدنيا أم من عمل الآخرة؟ الآخرة، لكن حال الناس اليوم في اتباع الجنائز، للدنيا، يأتي من أجل فلان، الأصل في الجنازة لا تكون إلا للميت، هي حق الميت ليس من حق الحي، لذا الفقهاء

يقولون: إذا كنت في عرس ورأيت منكراً فالواجب عليك أن تخرج وتغادر، وإذا كنت في جنازة فرأيت منكراً فلا يجوز لك أن تخرج"، الأول: حق الحي، والثاني: حق الميت والناس الآن ما تذهب للجنازة إلا للحي، هذا رياء، نسأل الله ﷻ العافية، وكيع بن الجراح شيخ الإمام أحمد، وشيخ الشافعي يقول: "من استفهم وهو يفهم فهو طرف من الرياء"، طالب العلم جالس يسأل وهو يفهم، لكن يريد أن يقول للشيخ أنا أفهم، أنا متميز، فيسأل حتى يبين للشيخ أن له فهماً وأن عنده شيء تميز به عن سائر الطلبه، فسأل وهو يفهم، فيقول وكيع: "هذا طرف من الرياء"، فالرياء ألا تحكم سنة نبيك ﷺ على أفعالك أو أن تترك فعلك دون أن تنوي النية الصالحة، فالرياء كيف يدفع؟ في {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، وبـ {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} يدفع العُجب، وإذا عبدت الله فهذا يدفع الرياء، إذن الناس أربع أصناف أمام العبادة، ماهي أفضل العبادات؟ العبادات كثيرة، وهي على أنواع، فهناك عبادات فعلية وقولية، والعبادات ضروب وأنواع، حصر المصنف تفضيل العبادات بأربعة أنواع، وتعرض لكل نوع من هذه الأنواع الأربعة وفصّل فيها على وجه حسن، وختمها بقول رابع الذي رجع إلى الأصل الذي فصّله وفيه أن أفضل العبادات إنما هو ما كان فيه إخلاص ومتابعة لرسول الله ﷺ.

قراءة الطالب: قال المصنف -رحمه الله-: **" ثم أهل مقام {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} لهم في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربعة طرق، وهم في ذلك أربعة أصناف، الصنف الأول: عندهم أنفع العبادات وأفضلها :أشقها على النفوس وأصعبها، قالوا :لأنه أبعد الأشياء من هواها وهو حقيقة التعبد، والأجر على قدر المشقة، ورووا حديثا ليس له أصل" أفضل الأعمال أحمزها" أى: أصعبها وأشقها، وهؤلاء هم أرباب المجاهدات والجوْر على النفوس، قالوا :وإنما تستقيم النفوس بذلك؛ إذ طبعها الكسل والمهانة والإخلاد إلى الراحة، فلا تستقيم إلا بركوب الأهوال وتحمل المشاق"**

الشيخ –حفظه الله–: هذا القول يقولونه: "كلما كانت العبادة أشق على النفس، فتكون أفضل عند الله ﷻ"، دائما إخواني في نقاش الأقوال والمسائل يُبحث عن الدليل، واعرف المسألة كيف قامت، ابدأ مع المخالف بالمقدار التي تتفق وإياه معه، ثم ابدأ في أن تجرّه للخير الذي عندك وغفل عنه، إذن مقرر في الشريعة أنه ليس كل شديد فاضلا، وليس كل يسير مفضول، الله جل في علاه إذا حكّمت شرعه واتبعت كلامه وسنة نبيه ﷺ تجدها يسيرة، ولكنها عند الله عظيم، الشرع ما جاء ليحرج الناس، {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}، شعار النبي ﷺ كما تقول عائشة كما في الصحيح: "ما خُير النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما"، هذا يذكرني بمبحث مذكور في الأصول، الإنسان إن وجد مجموعة أقوال أمامه، يتبع من؟! قول يقول: يختار أصعبها، أثقلها، أشدها على النفس، يقول آخر: يختار أيسره ، آخر يقول: يختار قول الأعلم، فالقول بأن أفضل العبادات أشدها، قائم على أصل وعلى حديث لم يكن من رسول الله ﷺ، حديث ليس له أصل: "أفضل الأعمال أحمزها"، العرب تقول: "اللبن حامز وتقول الرمانة حامزة" أي حارة، " أحمزها": أشدها على النفس، نعم ورد ما يدل على هذا الأصل، لكن ليس بإطلاق، التعب ليس مقصودا لذاته، تذهب إلى الحرمين الشريفين، تصلي في مكة الركعة بمئة ألف، الحرم المدني الركعة بألف، لكن إذا كنت لا تستطيع أن تأتي بما يحبه الله إلا بتعب زائد فأنت لك أجر زائد، رجل كبير توضأ يمشي للمسجد يتعب في وضوءه يتعب في المشية فأجره أعظم، لكن تأمل معي الخلل إن جعلت هذا الأصل مضطرداً، أنت واقف على المغسلة تستطيع تفتح ماء بارد وتستطيع تفتح ماء ساخن، فقلت أحسن العبادات لله ﷻ أشقها وأشدها فتترك الماء الساخن وتتوضأ في الماء البارد هذا خطأ، وضوءك بالماء الساخن أحسن من وضوءك بالماء البارد، إن كنت لا تستطيع إلا أن تتوضأ بالماء البارد فلك أجر أكثر، المشقة في

الشرع ليست لذاتها، هذا المقدار في الصواب من هذه القاعدة، لا تقصد المشقة لذاتها، وهذا أمر مهم جدا، ثم التفضيل النسبي يتفاوت في بعض الصور كما ذكرنا في موضوع الوضوء وغيره، سئل النبي ﷺ كما في صحيح البخاري: أي الصدقة أفضل؟ قال: "أن تتصدق وأنت صحيح شحيح"، تخاف الفقر ؟ تصدق، فالنبي جعلها ﷺ أفضل الصدقات إلى الله، تأخذ على نفسك، تشد على نفسك، هذا صحيح وهو ثابت عن النبي ﷺ، قال النبي ﷺ فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم: " أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى" أعظم الناس أجرا في الصلاة كلما كنت بعيدا، لكن الآن حتى نعدل هذا الكلام نسأل سؤالين، السؤال الأول: واحد يمشي إلى المسجد من مكان قريب، وآخر يمشي من مكان بعيد أيهما أفضل؟ المشي من المكان البعيد أحسن من المشي من المكان القريب، البيت القريب والبيت البعيد أيهما أحسن؟ البيت القريب من المسجد أفضل من البيت البعيد، فإذن المشقة ليست لذاتها، لكن إن كنت لا تستطيع أن تؤدي الجماعة إلا بممشى بعيد فذلك طيب وأنت مأجور، وأجرك أكثر من أجر من يمشي إلى الصلاة من مكان قريب، أما أن تسكن بجانب المسجد وأن يكون قريبا أفضل من البيت البعيد، هذا الأصل يحتاج إلى أن نميز الحق الذي فيه من غيره، أفضل الصلاة أشدها على النفس صحيح لكن الأمر نسبي من جهة إلى جهة أخرى، لا ينبغي لصاحبه أن يريد المشقة لذاتها، سبحان الله كل عضلة في البدن تشغلها تتعب، إلا اللسان تكلم متى شئت لا تتعب، فذكر الله خير من الجهاد وخير من كل شيء، من الذين يقولون بأن النفس كلما شققت عليها وأتعبتها هو أحسن قال: هؤلاء أرباب المجاهدات والجور على النفوس " قالوا : "وإنما تستقيم النفوس بذلك إذ طبعها الكسل والمهانة والإخلاد إلى الراحة، فلا تستقيم إلا بركوب الأهوال وتحمل المشاق"، هل هذا الكلام على إطلاقه صحيح؟ ليس بصحيح، النبي ﷺ قال: "إن لجسدك عليك حقاً وإن لأهلك

عليك حقا وإن لنفسك عليها حقا" أن تجعل شعار أفضل العبادات أن تقسو على النفس ليس بصحيح، فالقول هكذا على الإطلاق بأن أفضل العبادات عند الله ﷻ ما كانت أقسى على النفس كلام إن صحّ في شيء، إنما لا يصح في أشياء، ولابد له من قيود.

قراءة الطالب: قال المصنف –رحمه الله–: **"الصنف الثاني: قالوا: أفضل العبادات وأنفعها: التجرد والزهد في الدنيا، والتقلل منها غاية الإمكان، وإطراح الاهتمام بها وعدم الاكتراث لما هو منها، ثم هؤلاء قسمان: فعوامهم ظنوا أن هذا غاية، فشمروا إليه وعملوا عليه وقالوا :هو أفضل من درجة العلم والعبادة ورأوا الزهد في الدنيا غاية كل عبادة ورأسها، وخواصُّهم: رأوا هذا مقصودًا لغيره، وأن المقصود به عكوف القلب على الله والاستغراق في محبته والإنابة إليه والتوكل عليه والاشتغال بمرضاته، فرأوا أفضل العبادات دوام ذكره بالقلب واللسان، ثم هؤلاء قسمان: فالعارفون: إذا جاء الأمر والنهى بادروا إليه ولو فرّقهم وأذهب جمعيتهم، والمنحرفون منهم يقولون: المقصود من القلب جمعيته، فإذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفتوا إليه، ويقولون: يطالب بالأوراد من كان غافلٌ ... فكيف بقلب كل أوقاته ورد، ثم هؤلاء أيضا قسمان: منهم من يترك الواجبات والفرائض لجمعيته ، ومنهم: من يقوم بها ويترك السنن والنوافل، وتَعلُّم العلم النافع لجمعيته، والحق: أن الجمعية حظ القلب، وإجابة داعى الله حق الرب؛ فمن آثر حق نفسه على حق ربه فليس من العبادة في شيء"**:

الشيخ –حفظه الله–: هذا القول الثاني قول يتستر أصحابه بالزهد، وفي حقيقة أمره ليس بزهد، وهذا يستدعي أن نفهم الزهد الذي يحبه الله تعالى ويرضاه، وأن نفرق بينه وبين الواقع، الزهد في حقيقة أمره اجتناب الزاهد ما لا ينفعه، والورع: اجتناب ما قد يضر، هذا فرق دقيق بين الزهد والورع، الزهد أن تجتنب ما لا ينفع، والورع أن تجتنب ما قد يضرك، الزهد كما نقل ابن القيم

وفصّل في هذا الباب عن الإمام أحمد -رحمه الله- جعل الزهد أقسام، والكلام طويل وكثير والكلام في هذا الباب واسع، لكن أنا أذكر لكم أشياء زُبد، فهنالك زهد سماه ابن القيم: "زهد العوام"، وهو الزهد في الحرام، أن تزهد في الحرام ولا تفعله هذا للعوام وليس للخواص، هناك زهد آخر سماه: "زهد الخواص"، وهو الزهد عن الفضول، ألا تشغل قلبك ولا شيئاً من أفكارك بالفضول، لا يكون الإنسان زاهدا إلا إن ضبط لسانه، وأنا دائما أقول لإخواننا إذا أردت أن تعرف عقل الرجل انظر إلى وقته، وإذا أردت أن تعرف دين الرجل فانظر إلى لسانه، المؤمن يراعي قلبه إن تكلم تدبر، وعرض الكلام على القلب، المنافق قلبه من وراء اللسان، والله الذي لا إله إلا هو لو أن طلبة العلم تركوا الفضول لذهبت كل المشاكل، وإن تكلمت معك وتكلمت معي نتكلم بما ينفع، فزهد الخواص ترك فضول الكلام ثم فضول الطعام، ما تأكل إلا حاجتك فالزاهد من ترك الفضول، قال الإمام أحمد: "الزهد كل ما يشغل عن الله ﷻ "، ما يشغلك عن ربك ازهد فيه، هذا الزهد الذي يحبه الله تعالى، أما أن تترك ما يحبه الله وما أمر به تحت شعار أن لا ينشغل القلب عن الجمعية على الله ﷻ فهذا زهد مزيف، ولم يعرفه أصحاب رسول الله ﷺ، فأفضل العبادات ما يحبه الله ﷻ، شرع من هذا ! أن تتذرع بترك ما شرع الله، وتترك أوامر الله ﷻ فهذا ليس من شرع الله، الله يقول: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} متى نستطيع أن نكون شهداء على الناس؟ أن نكون وسطاً لا نحمل الشدة ولا نترك أمر الله ﷻ في الكتاب والسنة، فإن اتبعنا الكتاب والسنة وما ألزمنا أنفسنا بشدة أو تركنا أمر الله ﷻ فنحن على الوسطية ونكون أفضل الأمم، ولعل العاقل منكم يدرك سر اعتناء المستشرقين في طرق هؤلاء المخالفين وينفقون فيها ويكتبون عنها، لعل آلاف الرسائل العلمية، ولا سيما المدرسة الفرنسية، المدرسة الفرنسية من أكثر مدارس الاستشراق في النفخ في طرق المنحرفين في

سيرهم إلى الله ﷻ ، "وقالوا :هو أفضل من درجة العلم والعبادة ورأوا الزهد في الدنيا غاية كل عبادة ورأسها" هذا ليس بصحيح، ليست الغاية الزهد، والزهد في المال أن يكون الذي أعطاك الله ألا يكون في قلبك وأن يكون في يدك، فأنت حينئذ زاهد، ألا يشغلك شيئ عن الله، فالكلام هذا باطل وهو أن المقصود من هذه الحياة أن تترك الدنيا وأن تزهد فيها ولا تلتفت إليها، هذا الكلام بهذا الإطلاق ليس بصحيح، التعقيب الأخير في كلام المصنف تعقيب مهم غاية، فيه زبدة، قال: "والحق أن الجمعية حظ القلب، وإجابة داعى الله حق الرب فمن آثر حق نفسه على حق ربه فليس من العبادة في شيء"، أصحاب هؤلاء يفضلون الجمعية القلب على الله ويفضلونه على العبادات، فلسفة الأمر من أصله بناء على الأصل الذي قدمه، والأصل الذي قدمه أن العبادة قائمة على الإخلاص وعلى اتباع رسول الله ﷺ.

قراءة الطالب: قال المصنف رحمه الله: " **الصنف الثالث: رأوا أن أفضل العبادات ما كان فيه نفع متعدٍّ، فرأوه أفضل من النفع القاصر، فرأوا خدمة الفقراء والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم ومساعدتهم بالجاه والمال والنفع أفضل لقوله ﷺ: "الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله"، قالوا: وعمل العابد قاصر على نفسه، وعمل النَّفَّاع متعد إلى الغير، فأين أحدهما من الآخر، ولهذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وقد قال ﷺ لعلي: "لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمُر النعم" ، وقال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، وقال: "إن الله وملائكته يصلون على معلمى الناس الخير"، وقال : "إن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر والنملة فى جحرها" قالوا: وصاحب العبادة إذا مات انقطع عمله، وصاحب النفع لا ينقطع عمله ما دام نفعه الذى**

تسبب فيه، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما بعثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم ونفعهم فى معاشهم ومعادهم، لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع؛ ولهذا أنكر النبى ﷺ على أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع والتعبد وترك مخالطة الناس، ورأى هؤلاء أن التفرق لنفع الخلق أفضل من الجمعية على الله بدون ذلك، قالوا: ومن ذلك العلم والتعليم ونحو هذه الأمور الفاضلة"

الشيخ –حفظه الله–: القول فيه حق ومثال هذا القول الثالث منها العبادات، منها أن نفعه خاص بصاحبه، ومنها من أن نفعه متعد إلى غيره، فيرى أصحاب هذا القول أن العبادة متعدية للغير، مقدمة على العبادة التي هي ليست متعدية على الغير، وعلى هذا تدل الأدلة النقلية الصحيحة الكثيرة، لكن هذا القول ما ينبغي أن يقال بإطلاق ولابد أن تقيده بقيود، فإن قيدته بالقيود، خرج أن هذا القول هو أفضل العبادات على الإطلاق وهو ليس كذلك، ثم كان صوابا دون وجوده في أشياء معينة، العبادات الأمر لصاحبه، الصلاة، والذكر، قراءة القرآن، والحج، ومتعدية أيضا كالصدقة، والزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تعليم العلم، والجهاد في سبيل الله، هذا فيه نفع للغير، فقال: العبادة المتعدية مقدمة على العبادة التي هي فيها نفع لصاحبها، تجد آثارا تدل على ذلك في مثل ما أخرجه مسلم في الصحيح قال ﷺ: "رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه"، السر أن هذا فيه نشر للدين، مثل ما ثبت عند الترمذي أن النبي ﷺ قال: "ألا أدلكم بما هو أفضل درجة من الصيام، قالوا: بلى يا رسول الله، فقال ﷺ: إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة" إصلاح ذات البين أحسن من الصلاة وأحسن من الصيام، نفعها متعد، والصلاة والصيام نفعها غير متعد، فإذن هذا الكلام له أصل، كذلك العلم أيهما أفضل، فضل العلم أم فضل العبادة؟ فضل العلم، أيهما أفضل في الشرع العالم أم العابد؟ العالم، أيهما أفضل العالم أم المجاهد؟ العالم، فأجور العابدين وأجور المجاهدين

إنما هي في صحيفة العلماء، والنبي ﷺ فيما ثبت عنه قال: "إن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سابقتها" فالعابد مثل الكوكب يضيء لنفسه، والعالم مثل القمر في ليلة البدر يضييئ على غيره، فالعالم أفضل من العابد، والعلم أجره متعد والعبادة أجرها ليس متعد، الناس يتعلمون و يحفظون ثم يذهبون ويعلمون وهكذا، هذا كله في صحيفة العالم، وهناك أحاديث تدل على العبادة المتعدية أفضل من العبادة الغير متعدية، العلماء يعلمون الناس العلم، حتى الحيتان في البحر يدعون لمعلم الناس الخير، وأحسن الكلام في علم انتشر، الإنسان يترك ولد صالح يدعو له هذا متعد، العلماء يقولون المتزوج أفضل من الأعزب فهو نفعه متعد لأولاده، فالزوجة ليست مطلوبة لذاتها كما يفعلون الناس اليوم، لذلك علماء الحديث صنفوا فيمن وافق كنيته كنية زوجته من الصحابه، فكان التعداد مطلوب بقواعده الشرعية الصحيحة، والناس يهتمون بجانب الشهوة فقط، فالعبادات المتعدية هل هي أفضل أنواع العبادات ؟ لا ليس هي الأفضل لماذا ليس هي الأفضل ؟ هذا الكلام إن أطلقناه تنبني عليه إطلاقات ليست صحيحة، فاسدة، حتى يكون هذا الكلام صحيح لابد أولا استواء الرتبة في الشرع للعمل المتكلم عنه، مثلا: جاء وقت الصلاة فتذهب لأداء فريضة أم زيارة مريض ، مجالسة المريض فعل متعد، والصلاة فعل غير متعد، أيهما أفضل ؟ الفريضة أفضل، لما يستوي العملان في مرتبة واحدة فالشيئ المتعد أفضل من الغير متعد، أما إذا الشرع فضل واحده نذهب إلى مافضله الشرع، هذا الضابط الأول، أما الذكر بعد الصلاة لا يعارض عيادة المريض، الأصل في أفعال الخير تجمع بينهما، فإذا كانت العبادات في رتبة واحدة فالعبادة المتعدية خير من العبادة الغير متعدية،لكن يبقى السؤال المهم والتي تنبني عليه الثمرة وفيها صنف المصنف، أي العبادات أفضل وهو الصنف الرابع الذي جاء

عليه المصنف، والذي سنأتي عليه ونفصله في درسنا القادم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

